الفصل الخامس
أخلاق نهى عنها الإسلام

لا تغضب.

القلق النفسي.

الكذب وعواقبه الوخيمة.

آكلة لحوم البشر.

الغفلة المهلكة.

الكبر وخيم العاقبة.

الكبر بين القرآن والسنة.

أسباب التكبر.

كيفية معالجة الكبر.

لا تغضب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لاشريك له.. وبعد:

إخوة الإسلام:

وسنتحدث في هذا اللقاء عن هذا المرض العضال، والداء القتال - ألا وهو الغضب - في العناصر الخمسة التالية:

أولا: مفهوم الغضب

ثانيا: فضل من يكظم غيظه وغضبه.

ثالثا: الغضب المحمود

رابعا: مواقف في الصبر على الغضب.

خامسا: ماهو العلاج؟

❖ **أولا: مفهوم الغضب:**

إن الغضب - ياعباد الله - آفة تسلب لب الإنسان في كثير من الأحيان، وتطغى على مشاعره الجياشة بالحب؛ فتفسدها وتعكس أوضاعها، وتحدث في النفس لوعة وأسى، والغضب كما يؤثر على القوى العقلية والنفسية، يؤثر بالضرورة تأثيرا شديدا على القوى العصبية والأوعية الدموية، فيصاب المرء المغضب أو المغضوب باضطراب شديد في هذه الأجهزة وارتفاع في ضغط الدم، وسرعة شديدة في ضربات القلب. وأكثر الأمراض التي يعانى منها الإنسان سببها الغضب الشديد كما يقرر الأطباء.

وفى الحديث الذي رواه البخارى من حديث أبى هريرة ﷺ أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى. قال: ♂**لا تغضب**♂ ورددها النبى ﷺ مرارا، قائلا: ♂**لا تغضب**♂ وهذه الوصية من الوصايا التى جمعت أسباب الخير كلها أو أكثرها، وحذرت من خلائق الشر كلها أو أكثرها، ونبهت القلوب الواعية إلى أخطار الغضب وويلاته وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة

وآثاره المدمرة. لهذا نجد أن النبى ﷺ لم يرد على هذا الرجل في هذه الوصية مع الحاح الرجل في الزيادة عليها، وكأن النبى الكريم يريد أن يخبره بأن الغضب لا يأتى بشيء، وأن في تركه سلامة الدين ومتعة الحياة. ذلك أن الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق، والحلم والعفو، والصفح من أعظمها.

والغضب يحدث هيجانا حادا عند الإنسان ينتج عنه احمرارا في الوجه، وخفقانا في القلب، وزيادة في النبض، وتتابع في الأنفاس. إنه تحول عجيب يخرج الإنسان عن طوره، فينقلب إلى شكل مخيف تأباه النفوس وتكرهه القلوب وأشمل وصف لحالة الغضب، وصف النبى ﷺ للغضب في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده، يقول فيه النبى الكريم: ♂**ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم. أما رأيتم إلى حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه**═.

والغضب - والعياذ بالله - مرتبط بالكبر والاستعلاء والظلم والتعدى؛ ولهذا كان طريقا مهلكة وأرضا موحشة تأباه القلوب الكريمة، والعقول الكبيرة، والفطر السليمة [1].

روى أحمد في مسنده من حديث ابن عباس ☻ أن النبى ﷺ قال: ♂**إذا غضب أحدكم فليسكت**═ قالها ثلاثا.

وروى البخارى ومسلم في صحيحيهما عن سلمان بن صرد ﷺ قال: " استب رجلان عند النبى ﷺ، ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه. فقال النبى ﷺ: ♂**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**═. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبى ﷺ؟! قال: " إنى لست بمجنون ". وقول الرجل إنى لست بمجنون كلمة فيها غلظة وسوء أدب. ودفعه لقولها الغضب، نعوذ بالله من شره.

وعلى المسلم إذا اشتد غضبه أن يذكر قول الله تعالى في أوصاف المؤمنين: **{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}** [الشورى: 37].

(1) وصايا الرسول طه العفيفي.

وقد روى البخارى ومسلم في صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: ♂**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب**═.

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: ♂**ما تعدون الصرعة منكم؟**═ قلنا: الذي لاتصرعه الرجال. قال: ♂**ليس ذلك، ولكنه الذي يمسك نفسه عند الغضب**═.

وروى أبو داود أن النبى ﷺ كان ذات يوم جالسا بين أصحابه، فوقع رجل بأبى بكر ﷺ فآذاه. أى: سبه فصمت عنه أبو بكر. ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر. ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر فقام الرسول ﷺ فقال أبو بكر ﷺ أو حدث على يا رسول الله؟ فقال رسول الله: ♂**نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك. فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان. فلم أكن لأجلس إذن مع الشيطان**═.

❖ **ثانيا: فضل من يكظم غيظه وغضبه**

إخوانى في الله: في الحديث الذي رواه ابن عباس ☻ أن رسول الله ﷺ قال: ♂**ثلاث من كن فيه أواه الله في كنفه** (1)**، وستر عليه برحمته، وأدخله في محبته: من إذا أُعطى شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر**═ (2).

وعن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ♂**من كظم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق على مشهد من أهل الموقف، حتى يخيره من الحور العين ما شاء**═.

وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قال: ♂**ما من جريمة أعظم عند الله من جريمة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله**═.

إخوة الإسلام:

ونتحدث بحول الله وقوته عن العنصر الثالث من عناصر هذا اللقاء وهو: الغضب المحمود.

(1) أي في حمايته ورعايته.
(2) رواه أصحاب السنن.

فالغضب المحمود والمطلوب هو ماكان لله وفى الله إذا انتهكت محارم الله كما كان النبى ﷺ يغضب. وذلك كثير في حياته عليه الصلاة والسلام.

تقول السيدة عائشة ♥ فيما رواه البخارى ومسلم: ♂**ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى**♂.

فالغضب لله تعالى محمود في عواقبه مطلوب في كل أمر دعا الشرع فيه إلى إظهار الشدة والحمية والغيرة على الدين والحرمات. فقد كان النبى ﷺ يغضب حتى تحمر وجنتاه من شدة الغضب إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل، ولكنه لا يخرجه غضبه عن طبعه وجبلته وفطرته، ولايدفعه العدوان على من أغضبه.

وروى مسلم عن أنس أن النبى ﷺ قال:♂**إنما أنا بشر- أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر**♂.

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أكتب عنك كل ماقلت في الغضب والرضا؟ فقال: ♂**اكتب. فو الذي بعثنى بالحق نبيا مايخرج منه إلا حق**♂ وأشار إلى لسانه. فلم يقل: إنى لا أغضب لا يخرجنى عن الحق - أى: لا أعمل بموجب الغضب [1].

رابعا: مواقف في الصبر:

وهذه مواقف - ياعباد الله - في الصبر على الغضب، فيها العبرة والعظة لنا يجب أن نتأسى بها، وتكون لنا نورا يهتدى به، لعل الله أن يجعلنا ممن يكظمون غيظهم.

روى أن أعرابيا جاء إلى الرسول ﷺ يطلب منه شيئا، فأعطاه. ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال الأعرابى: لا، ولا أجملت! فغضب المسلمون وقاموا إليه. فأشار إليهم أن كفوا. ثم قام ودخل منزله. فأرسل إليه وزاده

(1) رواه أبو داود والترمذي.

شيئا. ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم. فلما كان الغد جاء، فقال له النبى ﷺ: ♂**إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه راض. أكذلك؟**ـــ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال رسول الله ﷺ:♂**مثلى ومثل هذا الرجل كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا. فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بينى وبين ناقتى، فإنى أرفق بها وأعلم. فتوجه لها بين يديها، فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحيلها، واستوى عليها. وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النار**ـــ.

فنلاحظ أن هذا الأعرابى الذي تلطف به النبى ﷺ حتى أرضاه، ربما يحسن إسلامه ويكلف بأمر خطير في نصرة الإسلام، فيقوم به خير قيام، فبالحلم تساس الرجال، ويرد كل مخطئ إلى الصواب.

وموقف آخر فيه لنا عظات وعبر في الصبر على الغضب. حيث حكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه إلى وزير له، وقال: إذا غضبت فناولنيه.

وكان فيه:

مالك والغضب إنما أنت بشر: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

وكان بعض ملوك الطائف إذا غضب ألقى عنده مفاتيح مقابر الملوك، فيزول غضبه ويحكى أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة المنورة فرأى شابا حسن الهيئة، جميل المنظر، نظيف الملابس، راكبا دابة قوية نشيطة فسأل. فقيل له: هذا الحسن بن على بن أبى طالب، فامتلأ قلبه حسدا له، وحقدا عليه، وتقدم إليه وقال له: أأنت ابن على بن أبى طالب؟ فقال الحسن: أنا ابن ابنه. فقال الرجل: لقد قلت فيك وفى أبيك كلاما قبيحا أشتمكما به... وذكر له ذلك الكلام. فقال الحسن: أظنك غريبا. فقال الرجل: نعم. فقال الحسن: إذا احتجت إلى منزل أسكنتك، أو إلى مال أعطيتك، أو إلى حاجة ساعدتك. فعجب الرجل من حلم الحسن ☻، وانصرف وهو يقول: ليس على وجه الأرض أحب إلى من هذا الشاب...

أسأت إليه فأحسن إلى.

وأخيرا عباد الله.

ما هو العلاج؟

إن على المسلم أن يتجنب أسباب الغضب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وعليه أن يتقى مواطنه بقدر إمكانه، ويحتاط لنفسه من المثيرات التي تغضبه، ويعظ نفسه دائما بما يدفع ثورته إذا غضب. ولا شك أن الوقاية خير من العلاج. ولكن الإنسان لحم ودم كما يقولون، ولا يستطيع أن يرى مايسوؤه ويسكت، لاسيما إذا جاوز الأمر حده، وتمادى المسيء في غيه وإساءته.

ولهذا الداء الخطير جعل له النبي ﷺ دواء نافعا وعاجلا شافيا، والمسلم مطالب بكسر حدة الغضب بما يلى:

☒ تتبع وصية النبى ﷺ: ♂**لا تغضب**—.

☒ عليه أن يعرف فضل كظم الغيظ وثوابه.

☒ على المسلم ان يعرف أن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء. فإذا غضب عليه أن يتوضأ.

☒ على المسلم السكوت حال الغضب، وحبس اللسان وإلجامه. قال النبى ﷺ: ♂**إذا غضبت فاسكت**— (1).

☒ على المسلم أن يتعوذ الشيطان الرجيم. قال تعالى: **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [فصلت: 36].

☒ على المسلم أن يعرف نتائج الغضب وعواقبه، ومايؤدى إليه من ظلم وتعد. قال رسول الله ﷺ (2): ♂**كل مسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**— (3).

جعلني الله وإياك ممن يغضب لحدود الله إذا انتهكت. وأنزل علينا

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه مسلم.

(3) تربية الأولاد في الإسلام.

السكينة في أمور الدنيا التي تغضب لها لأتفه الأسباب وأقل الأمور

اللهم الطف بنا، وجنبنا الغضب المذموم، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا.. آمين.

* * *

لمحات من الطب النفسى [القلق النفسى]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

إن القلق النفسى، أحد حالتين يمران بالإنسان في حياته:

الحالة الأولى: الفرح والاستقرار، وينتج عنه صدق في القول والعمل.

الحالة الثانية: القلق والاكتئاب والحزن، وينتج عنه الغيبة والنميمة والكذب.

وسيدور حديثنا عن القلق في ضوء العناصر التالية:

أولا: معنى القلق.

ثانيا: كيف يحدث القلق.

ثالثا: دراسات نفسية من القرآن الكريم والسنة.

رابعا: علاج القلق.

أخى المسلم: هل أنت قلق بسبب قلة المال؟ هل أنت قلق بسبب عدم الزواج؟ هل أنت قلق لأنك في احتياج للأولاد؟ هل أنت قلق بسبب سوء معاملة الزوجة؟

اعلم أن كثرة المكالمات التليفونية، والعمليات الانتحارية، والأمراض المفاجئة، وكثرة المستشفيات والعيادات الخارجية - كل ذلك يدل على كثرة القلق. ونحن نجد أن هناك من يركب أفخر السيارات، ويسكن أحسن العمارات، ومتزوج أجمل النساء، ولكنه مكتئب قلق حيران.

نجد إنسانا يعمل بما يعادل خمس عشرة ساعة يوميا، ثم بقية اليوم في حل المشاكل والقيل والقال. فيشعر بضيق في الصدر. حتى أصبح هذا العصر بدلا من أن يسمى عصر السرعة. قل هو: عصر القلق. وإذا كان

الله قد خلق الإنسان من تراب... أى ركب الجسم من تراب، فإن الجسم يحتاج إلى الأكل - الشرب - النوم.

يحتاج إلى الأكل فيأكل من تراب، أى من كل ماتنبته الأرض من جميع أنواع الأغذية. فالجسم يأكل مما صنع منه. والجسم يمرض ويحتاج إلى العلاج فيعالج. وإذا كان الله قد خلق الجسم من تراب، فإنه قد نفخ فيه الروح. وإذا كان الجسم يمرض ويعالج، فإن الروح تمرض وتحتاج للعلاج.

وإذا مرضت الروح، فاعلم أن علاج الروح والقلق التي نتج عنها، ليس عند الأطباء ولا في المسارح، ولا في المصايف، ولكنه من عند الله؛ حيث إن الروح قد أودعها الله في الإنسان. فحينما سئل النبى ﷺ عنها كما قال تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء: 85]، كان الجواب:{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} فالذى يعلم سر الروح وحقيقتها هو ربها جل وعلا. فالروح تجوع وتعطش وتمرض وتصرخ. والإنسان يكون ميسور الحال، ولايعرف حقيقة ما به حتى إن النفس تمل وتكل [1].

❖ **أولا: معنى القلق:**

ومن هنا نستطيع أن نقول أن القلق النفسى في حقيقته، هو انفعال شديد نتيجة مواقف معينة. وهذا القلق النفسى يسبب على المدى القريب والمدى البعيد معا - أى حال الصغر والكبر - اضطرابات في التفكير تتبنى عليها أفكار خاطئة، وبالتالى يبنى عليه قرارات غير صحيحة. وأى قرار مبنى على فكر خاطئ لا يمكن أبدا أن يكون صحيحا. ولذا نقول إذا ما انغمست النفس في هموم الدنيا. فأين هموم رضا الله؟. أين تفكيرك في الآخرة؟ ماذا تفعل إذا قبضت روحك الآن؟ فهل تجد أن الله راض عنك؟ أنت إذا غيرت مكان نومك تكون قلقا ولاتنام؛ بحجة أنك غيرت مكان نومك. ولكن ماذا تفعل حينما تنام في قبرك فريدا وحيدا. فهلا سألت نفسك عن جليسك في قبرك ياترى هل هو باب من أبواب الجنة أم النار. لعلك - أخى المسلم - لو فكرت في هذه الأمور لذهب عنك القلق والحزن.

(1) رسالة صوتية (القلق).

ونتحدث عن العنصر الثانى من عناصر هذا اللقاء وهو:

❖ **كيف يحدث القلق؟**

إن السبب الرئيسى للقلق هو أنك لاتحب الله. فمن الممكن أن ترد وأن تقول: لو أن الله لايحبنى ما أنعم على بما أنا فيه، وما أنعم على بهذه الخيرات. فنرد عليه ونقول له: ألم تسمع قول الله تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [القلم: 44].

ونقول إذا كان الله يحبك، فإن الله يعطيك مايحبه هو، وليس ماتحبه أنت. فالله قد أعطاك الولد والزوجة والمال. عموما... الدنيا ومافيها من متاع سرعان ما تزول.

فهل معنى ذلك أن الله يحب الدنيا ومافيها.

الله عز وجل يحب ذاته وصفاته ونبيه وكتابه... وشرائع الدين عموما. وهنا نقول: أنه من كثرة فعل الذنوب وعمل المعاصى فإنها تتراكم على القلب ويسود، كما أخبر ربنا في كتابه:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم} [المطففين: 14].

ومن هنا يحدث القلق والاكتئاب والضيق، اقرأ قول الله عز وجل: {فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 125]. فكلما ارتفع الإنسان عن ظهر الأرض شعر بضيق في الصدر. وعكسه كلما كان هادئ البال، انشرح صدره وفرح وحينما يفرح الإنسان بشيء يضيق بضده. فالرسول ﷺ يفرح بكلام الله وبأوامر الله، ولكنه يضيق صدره بما يقال من المشركين، حيث يقول ربنا:{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 97 - 99].

واعلم أن فترة الطفولة من أكثر فترات العمر تأثرا بالقلق النفسى، الذي غالبا ما يسبب جراحات نفسية عميقة. وهذا هو الأمر الذي يسبب عقدا نفسية عميقة الجذور، وتلك العقد النفسية هى المسؤولة عن اضطرابات في التفكير تبنى عليها بعد ذلك أفكار مرضية خاطئة لا تبرح

فكر الإنسان زمنا طويلا، وربما طول حياته. وهذه العقد النفسية تستكين في أغوار النفس، إلا أنها تتحين بعض المواقف التي تثيرها فتحاول الظهور والتعبير عن نفسها [1].

❖ **ثالثا: دراسات نفسية من القرآن والسنة:**

هذا هو العنصر الثالث في هذا اللقاء. ومن أهم الأمثلة التي تؤكد هذا المعنى: -

إيثار بعض الأبناء على بعضهم الآخر. وكثيرا ما يؤدى هذا إلى تكون عقد نفسية في الأبناء غير الأثيرين لدى الأب تؤدى في مستقبل حياتهم إلى اتجاهات فكرية ونفسية خاطئة.

* مثال ذلك في القرآن: قصة يوسف وإخوته. فلقد تغلبت روح الغيرة والكراهة على فكر خاطئ فقرروا الخلاص منه، نظيرا أنهم ظنوا أنه الأثير عند أبيهم. وقد أخبر الله عن ذلك فقال:{**إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ**}.

وتستيقظ روح النبوة منهم؛ فتهدئ من ثورتهم على أخيهم فيقولون كما حكى القرآن:{**أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**}.

ثم تهدأ ثورتهم وغضبهم على أخيهم أكثر وأكثر، فيقولون كما حكى القرآن:{**قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**} [يوسف: 8 - 10].

وحول أثر هذه العقدة النفسية، فالزمن ومرور الأيام لايمحوان هذه العقدة ولا آثارها الخاطئة المترتبة عليها، وتحاول الظهور لتعبر عن نفسها من جديد مهما طال الزمن، إلا إذا تعرضت نفوسهم لصدمة نفسية شديدة ومضادة.

ومتى حدث هذا؟ حدث هذا بعد أن زاروا مصر، بعد ذلك بسنوات عديدة من إلقاء أخيهم يوسف في البئر. وقد صار عليه السلام في هذا الوقت مسؤول عن خزائن مصر. دخلوا عليه فعرفهم وهم لا يعرفوه. فهم

(1) من مقال للدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم.

قد ظنوا أنه مات. وأراد النبى يوسف عليه السلام أن يستبقى أخاه الشقيق بنيامين عنده. وهنا لابد من سبب لاحتجازه فاتهم بالسرقة. فقال له إخوته وقد صارت فيهم عقدة الغيرة والكراهية القديمة ذلك ليس بمستبعدا فإن أخا له قد سرق من قبل - يقصدون يوسف -، حيث ورد عن سعيد ابن جبير عن قتادة أن يوسف عليه السلام قد سرق صنما لجده أبى أمه فكسره.

حيث يقول ربنا جل وعلا:{قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا والله أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين * قَالَ مَعَاذَ الله أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ} [يوسف: 77 - 79]، وقيل: إنهم افتروا عليه بالسرقة.

ونفهم من ذلك أن إيثار الآباء لبعض الأبناء على البعض الآخر منهم يؤدى إلى قلق نفسى فيهم، وبالتالى إلى تكون عقد نفسية مرضية تنبنى عليها أفكار خاطئة تستمر زمنا طويلا، وطول العمر أيضا، وما كان لنبى الله يعقوب أن يفضل ولدا على آخر وبعد أن علم إخوة يوسف الحقيقة أن الله هو الذي اصطفاه من بينهم، وآثره عليهم أصيبوا بصدمة شديدة مضادة، فعلموا أنهم كانوا مخطئين في سوء ظنهم بأبيهم، لأن يعقوب نبى، وماكان لنبى أن يفضل أحدا على أحد، ولايظلم أحدا، وأدركوا أنه لم يؤثر يوسف عليهم، ولكن الله الذي آثره.

قال تعالى:{قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: 91، 92].

*ومثال آخر من السنة يقول النبى صلى الله عليه وسلم: **سووا بين أولادكم في العطية** [1]. وجاء في رواية أخرى: **أشهد على ذلك غيرى، فأنا لا أشهد على جور** حيث رفض النبى أن يفضل بعض الأبناء على بعض.

ونقول: إن القلق ينتج عنه عواقب وخيمة منها:

الحزن: حيث إنك ترى في سورة يوسف أن الله عز وجل أخبر عن

(1) البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير.

نبيه يعقوب:{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: 13].

وقال في موضع آخر:{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: 84].

وقال:{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [يوسف: 86].

وينتج عنه أيضا الإصابة بأمراض خطيرة مثل السرطان الذي يمكن أن يتفشى في سائر الجسد.

وقد ينتج عن القلق اضطرابات في التفكير يؤدى إلى ضياع الفرص، كرسوب التلاميذ في امتحاناتهم.

وهنا نشير إلى مقولة رائعة لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، تبرر هذا الحب الشديد من نبى الله يعقوب لابنه يوسف عليه السلام حيث قال - رحمه الله - أن يوسف وأخاه بنيامين سيعيشان في حياة أبيهما فترة من الزمن قصيرة بعكس إخوتهما الكبار؛ الذين عاشوا في كنف أبيهم وتحت رعايته، وأغرق عليهم حبا وحنانا فترة طويلة من الزمن؛ لذلك أحبهما أبوهم أكثر من إخوتهم ليتساوى الجميع في درجة الحب [1].

❖ **رابعا علاج القلق:**

إخوة الإسلام:

أما عن علاج القلق فاعلم أن القلق يكون ناتجا عن نقص الإيمان، وأن المرء المؤمن لايعانى حقا مرضا نفسيا. ولنعلم ان أعظم علاج له:

* أن تحب الله ليحبك الله، فإذا أحبك اندفع عنك القلق، وترضى بكل شيء حيث يقول ربنا:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49].

الإيمان بالقدر، وبما هو مكتوب وبمشيئة الله وبالخلق والإيجاد. فلا تفعل إلا ما أراده الله.

عليك بقراءة القرآن. حيث إن الله يكلمك. فالقرآن كلام وشفاء من كل داء. حيث يقول ربنا:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء:

(1) رسالة صوتية (بتصرف).

82].

كذلك من العلاج: الصلاة على النبى ﷺ. حيث جاء إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله: أجعل دعائى الصلاة عليك؟ فقال: يكفيك الله همك.

وصدق الله حيث قال:{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

وقال تعالى:{وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2، 3].

وقال:{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: 4].

نسأل الله الهداية والتوفيق.

اللهم آمين.

* * *

الكذب.. وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين. أعد الجنة للمتقين. وجعل النار للمكذبين.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الصدق يحتاج إلى عزيمة قوية، وإلى إيمان عميق، وإلى تحمل شديد، وإلى شجاعة فائقة في أعلى درجات السمو والكمال. وكل ذلك ناتج عن استقرار نفسى. وعلى النقيض من ذلك فإن الكذب في أحط درجات الهوان والنقصان؛ إذ إنه ناتج عن قلق نفسى وعدم استقرار نفسى. فإذا ماقال الإنسان كلاما بلسانه يخالف ما فى ضميره وما في نفسه فلا يكون صادقا بل يكون كاذبا. ويدل على ذلك أن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم للرسول ﷺ: نشهد أنك رسول الله، ومع هذا كذبهم الله تعالى ولعنهم؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قال تعالى:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: 1].

وهذا كلام صادق من جهة الواقع - أى: أن محمدا رسول الله - إلا أن الله أخبر وشهد بأنهم كاذبون. وكذبهم ليس من جهة النطق باللسان، ولكنه من جهة ما تضمره قلوبهم، وما تخفيه نفوسهم الخبيثة من خداع وعداوة لرسول الله ﷺ.

إخوة الإسلام:

إن الكذب له عواقب وخيمة، ويكفى لبيان سوء عاقبة المكذبين قوله تعالى في سورة المرسلات:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ}. وكرر هذا التهديد من الله تعالى في هذه السورة عشر مرات للمكذبين الحق.

وقال تعالى:{قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام: 11].

كذلك بين الله عز وجل خسران المكذبين في الدنيا والآخرة فقال: {وَلاَ

تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} [النحل: 116].

وإذا ما اتجهنا إلى الأحاديث النبوية الشريفة - رأينا الكثير فيها يحذر من رذيلة الكذب تحذيرا شديدا، ويصف من يسلك هذا السلوك بأقبح الصفات. ومن هذه الأحاديث:

عن عائشة ♥ قالت: ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب.

وعن أبى بريدة الأسلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ♂**ألا إن الكذب يسود الوجه**═.

وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ♂**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**═ (1).

وعن صفوان بن سليم قال: قيل يا رسول الله: أيكون المؤمن جبانا؟ قال: ♂**نعم**═ فقيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: ♂**نعم**═. فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: ♂**لا**═ (2).

نحن - عباد الله - نجد أن القرآن قد نفى الإيمان عن أهل الكذب.

قال تعالى: **{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ * مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}** [النحل: 105، 106].

فصور الكذب الذي يترتب على إشاعته في وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المكتوبة، والذى يراه ويسمعه ويقرؤه الملايين من البشر أشد إثما، وأقبح جرما من صور الكذب الذي يشيعه الكذاب بين جماعة محدودة العدد من الناس. ولذا جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخارى من حديث سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبر الصحابة أنه رأى في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - أن الكذاب يشق شدقه - أى

(1) رواه أحمد.
(2) رواه مالك.

يقطع خده من جسده -. وهو ذلك الكذاب الذي يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق. أى: حتى تنتشر في أقطار الأرض فيصنع به هكذا يوم القيامة [1].

إخوة الإسلام:

والأسباب التي تحمل بعض الناس على الكذب كثيرة فيها الظاهر الواضح، ومنها الباطن الخفى، وكلها تدل على ضعف في الدين، وسقوط في المروءة، وعوج في الأخلاق، واستخفاف بالقيم الشريفة وبالسلوك القويم.

فمن الناس من يكثر من الأقوال الكاذبة حين يمزح مع غيره، وتتوهم أن الكذب معفو عنه في أحوال الممازحة وما يشبهها. وهذا لون من الفهم السقيم لآداب الإسلام؛ لأن الإسلام أباح الترويح عن النفس ولكن في الحدود التي لاكذب معها. فقد كان النبى ﷺ يمزح - أحيانا - ولكن لا يقول إلا حقا وصدقا.

يقول النبى ﷺ في الحديث الذي رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: **♂ويل للذى يحدث الحديث ليضحك به القوم فيكذب. ويل له. ويل له═** [2].

وعن أبى أمامة ﷺ قال رسول الله ﷺ: **♂أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مزحا═** [3].

إخوة الإيمان والإسلام:

ومن الناس من يكذب على غيره من أجل ترويج تجارته أو صناعته أو زراعته، أو غير ذلك من المنافع الدنيوية، توهم منه أن هذا الكذب من وراءه زيادة المنافع الدنيوية. وقد يحلف بالأيمان الكاذبة في سبيل الحصول على ربح مادى. وقد نهى الإسلام عن كل ذلك نهيا قاطعا.

قال رسول الله ﷺ: **♂كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق،**

(1) العقيدة والأخلاق.
(2) رواه الترمذي، وأبو داود.
(3) رواه البيهقي.

وأنت له كاذب﴾ [1].

عباد الله: وأقبح ألوان الكذب - الكذب على الله تعالى، وهو الكذب على دين الله، وعلى ماجاء به الرسول ﷺ من عند ربه عن طريق التحريف، وعن طريق القول بغير علم، وعن تفسير حقائق الدين تفسيرا يتعمد فيه الكذب؛ ولذا جاء في الصحيحين أن النبى الكريم ﷺ قال:♂**إن كذبا على ليس ككذبا على أحد، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار﴾**.

كذلك يعد من الكذب المنهى عنه، والمذموم - تلك المدائح التي يكذب فيها قائلوها، لكى يتملقوا فريقا من الناس، من أجل عرض زائل من الدنيا، حيث إن هناك فريقا من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الأكابر، ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة.

يقول أبو هريرة ﷺ:♂**أمرنا رسول الله أن نحثو في وجوه المداحين التراب﴾**.

وقد ذكر شراح الحديث أن معنى المداحين هنا هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة يسألون به الممدوح. فأما من مدح على الأمر الحسن فليس بمداح.

واعلموا - إخوة الإسلام - أن هناك حالات يجوز فيها الكذب.

ذلك أن شريعة الإسلام التي شريعة الحق والعدل لم ترخص للإنسان أن يكذب إلا في مواطن. ففى الصحيحين عن أم كلثوم ♥ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:♂**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمى خيرا أو يقول خيرا﴾**.

وفى رواية لمسلم أنها قالت: ولم أسمعه ﷺ يرخص في شيء مما يقول إلا في ثلاث، تعنى: الحرب - والإصلاح بين الناس - وحديث الرجل امرأته، و حديث المرأة زوجها.

(1) البخاري من حديث النواس بن سمعان.

قال الإمام الخطابى: كذب الرجل على زوجته أن يظهر لها المحبة أكثر مافى نفسه؛ ليستديم بذلك صحبتها، ويصلح خلقها. والكذب في الحرب أن يظهر من نفسه قوة، ويتحدث بما يقوى به أصحابه.

وأقول: في الكذب في الصلح بين المتخاصمين ذكر الكلام الحسن للطرفين؛ مما يؤلف به القلوب، ولو كان هذا الكلام ليس على سبيل الحقيقة. وفى ذلك توحيد للكلمة.

وقال بعض العلماء: إنما جاز الكذب في هذه الأمور؛ لأن الجيش حصن الأمة، ولأن الشقاق رأس كل معصية، ولأن النزاع بين الزوجين يعرض الأسرة للضياع وهى أساس المجتمع [1].

ولكن هل يجوز الكذب في غير هذه الأمور الثلاثة؛ الإجابة: لايجوز. ولايصح الاستدلال بقول إبراهيم عليه السلام - كما حكى القرآن الكريم -{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ}. وقوله على زوجته: إنها أختى. وقوله{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}. وقول منادى يوسف:{أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}. فلا يصح الاحتجاج بذلك؛ لأن ماجاء في هذه الصور من الإباحة إنما المقصود بها التورية واستعمال المعاريض، وكما قيل: (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب).

عباد الله:

والكذاب يعاقبه الله عز وجل بعقوبات شديدة في الدنيا والآخرة. ووردت الأدلة من الكتاب والسنة التي تبين ذلك. ومن هذه العقوبات:

❖ **أولا: من القرآن:**

قال تعالى:{فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: 10].

قال تعالى:{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 60].

❖ **ثانيا: من السنة:**

(1) السراج الوهاج. د/سعد شلبي.

جاء في سنن الترمذى من حديث ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قال: ♂**إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به**♂.

وروى مالك عن ابن مسعود ﷺ قال: ♂**لا يزال العبد يكذب، وتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه؛ فيكتب عند الله من الكاذبين**♂.

وورد في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ♂**إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**♂.

وقد بين الله ﷻ في كثير من الآيات القرآنية خسران الكاذبين في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: **{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى الله الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ}** [النحل: 116].

نسأل الله أن يجنبنا الشقاق وسوء الأخلاق.

اللهم آمين.

* * *

أكلة لحوم البشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن من الأمراض الخبيثة التي تفشت في المجتمع؛ وانتشرت بين الناس، وأصبحت ملازمة لأكثر الناس في يومهم وليلتهم - الغيبة والنميمة. وإن شئت فقل: " أكلة لحوم البشر ". والغيبة والنميمة توعد الله صاحبهما في كتابه، وبين الصادق المعصوم ﷺ عقابهما في سنته.

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**} [الحجرات: 6].

فهذا أمر من الله ﷻ لأهل الإيمان أن يتثبتوا من الكلام أولا، قبل الوقوع في الخطأ، أو حتى لا يقعوا في الخطأ وهتك أعراض الناس.

ولهذه الآية سبب نزول حيث بعث النبى ﷺ الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق يتصدقهم فتلقوه بالصدقة. فرجع فقال: إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إليهم، وأمره أن يتثبت ولا يتعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلا. فبعث خالد عيونه، فلما جاؤوا أخبروا خالدا ﷺ أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا آذانهم وصلاتهم. فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه. فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله هذه الآية الكريمة. قال قتادة: فكان رسول الله ﷺ يقول:♂**التثبت من الله، والعجلة من الشيطان**═.

وقد سمى الوليد فاسقا، تنفيرًا وزجرا عن المبادرة والاستعجال إلى الأمر من غير تثبت. لكنه مؤول مجتهدًا فليس فاسقا على الحقيقة.

قال الفخر الرازى: إن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقا؛ لثناء النبى ﷺ في أكثر من

موضع على أصحابه.

وفى هذا درس بليغ لكل مسلم فهو:

درس بليغ للذى يسمع أن زوجته مع فلان فيطلقها دون أن يتأكد من هذا القول.

ودرس بليغ لتلك المرأة التي تسمع أن زوجها سيتزوج من غيرها فتطلب الطلاق وتلح على الانفصال.

ودرس بليغ للذى يسمع أن فلانا قد عاب فيه وأخطأ إليه، فتأخذه الحمية والانتقام.

عباد الله:

إن الله عز وجل قد حرم الغيبة والنميمة؛ لأنهما يؤديان إلى أوخم العواقب وأسوأها أثرا في المجتمع.

قال تعالى:{وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات: 12].

وقال تعالى:{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: 10، 11]. أى: كثير الحلف والتعيب والسعى بين الناس بالنميمة.

وفى الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:♂**أتدرون ما الغيبة؟**ـــ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:♂**ذكرك أخاك بما يكره**ـــ، قيل أفرأيت إن كان في أخى ما أقول؟ قال:♂**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته**ـــ.

قال تعالى:{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: 12].

وروى أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز ﵁، وأخذ يغتاب رجلا عنده. فقال له عمر: (إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا كنت من أهل هذه الآية{هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}. وإن كنت صادقا كنت من أهل هذه الآية{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}. وإن شئت عفونا عنك. فقال الرجل: العفو العفو يا أمير المؤمنين.

ولذا يقول الله عز وجل مبينا أن الغيبة والنميمة من البهتان والآثام العظيمة{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب: 58].

وقد روى أبو داود والترمذى عن عائشة ♥ في الحديث الحسن الصحيح أنها قالت: قلت للنبى ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - تعنى أنها قصيرة - فقال:♂**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**═. أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه.

إخوة الإيمان الإسلام:

لقد وردت الآيات الكثيرة التي تحرم سماع الغيبة منها:

قوله تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} [القصص: 55].

وقوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 3].

وقوله تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68].

ولقد أباح الإسلام الغيبة لغرض صحيح شرعى لايمكن الوصول إليه بها، وهى ستة أسباب:

- **السبب الأول**: التظلم. مثلا يتظلم الإنسان إلى القاضى ويقول: ظلمنى فلان.
- **السبب الثانى**: الاستعانة على تغيير المنكر.
- **السبب الثالث**: الاستفتاء. أى يطلب الفتوى من العالم - أو يأخذ المفتى بشهادته.
- **السبب الرابع**: تحذير المسلمين من الشر.
- **السبب الخامس**: أن يكون مجاهرا بفسقه وبدعته، كالمجاهر بشرب الخمر.
- **السبب السادس**: التعريف. إذا كان الإنسان معروفا بلقب مثل

الأعمش، الأعرج.. وما شابه ذلك، ولايعرف إلا بذلك [1].

عباد الله:

ولقد حرم الإسلام النميمة تحريما قاطعا.

قال تعالى:{هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: 11].

وقال رسول الله ﷺ:♂**لا يدخل الجنة نمام**—.

وروى البخارى عن ابن عباس ☻ أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال:♂**إنهما يعذبان، ومايعذبان في كبير. أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**—.

ويقول النبى ﷺ فيمارواه أبو داود من حديث أنس ﷺ:♂**رأيت ليلة أسرى بى أناس في النار، لهم أظفار من نحاس، يخمشون بها وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا أخى جبريل؟ قال: هؤلاء هم الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**—.

وروى عن النبى ﷺ قال:♂**إياكم والغيبة؛ فإنها أشد من الزنا**—، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال:♂**قد يزنى العبد فيتوب، فيتوب الله عليه. وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها**—.

وقال كعب الأحبار: قرأت أنه من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار [2].

فقال النبى ﷺ في حق المؤمن:♂**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. فليقل خيرا أو ليصمت**—.

وقال ﷺ:♂**المسلم... من سلم المسلمون من لسانه ويده**—.

وروى أحمد وأبو داود والبيهقى عن عبيد (مولى رسول الله) أن امرأتين صامتا. وأن رجلا قال: يا رسول الله، إن امرأتين قد صامتا، وأنهما قد كادتا أن تموتا من العطش. فأعرض عنه فقرر القول مرة ثانية. فقال ﷺ: ادعهما. قال: فجاءتا. قال: فجيء بقدح. فقال لأحدهما: قيئى.

(1) رياض الصالحين.
(2) الكبائر للذهبي.

فقاءت قيح ودم وصديد ولحم عبيط [1] حتى ملأت القدح. ثم قال رسول الله ﷺ: ♂**إن هاتين صامتا عما حرم الله عليهما... جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس**—، أو كما قال النبي ﷺ.

وروى عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ♂**أربع يفطرن الصائم: الغيبة. الكذب. النميمة. النظر إلى محاسن المرأة التي لا يحل النظر إليها. وهن يسقين الشر كما يسقى الماء أصول الشجر**[2]—.

وقال النبى الكريم ﷺ: ♂**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**— [3].

وسئل حكيم: لم لم تظهر رائحة الغيبة في زماننا؟ قال: لأنها كثرت، وفى القديم كانت قليلة فكانت تظهر.

وهذا الأمر أشبه بمن يعمل في مدبغة، فإنه من كثرة الروائح الكريهة اعتاد على هذا الأمر وأصبح يألفه أما إذا شم أى إنسان آخر هذا الأمر لأول مرة فإنه يعانى منه وبشدة. وقد أصبح كثير من الناس في زماننا هذا يكثرون من هذا الداء العضال الذي كاد أن يفتك بالناس جميعا. وحرى بكل مسلم بعد أن أبصر هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن يقلع عن هذا الداء الفتاك الذي يورد الإنسان موارد المهالك.

فاللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.. اللهم آمين.

* * *

(1) عبيط أي طري.
(2) أي جذور الشجر.
(3) رواه ابن ماجة والنسائي.

الغفلة المهلكة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... وبعد:

إخوة الإسلام:

لقد أصبح الناس في هذه الدنيا في تخبط في الأقوال والأفعال. كل إنسان يفعل مابدا له معرضا عن يوم الحساب ومافيه. ولذا يقول ربنا في كتابه{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} [الأنبياء: 1 - 3].

فالذى يتأمل أحوال الناس في هذا الزمن يرى تطابق الآية تماما مع واقع كثيرين منهم. وذلك من خلال ما يرى من كثرة الإعراض عن منهج الله جل وعلا، وغفلتهم عن الآخرة وما فيها، وأعرضوا عن الاستعداد لها. تجد بعضهم يؤخر الصلاة كلية أو على أقل تقدير يؤخرها عن وقتها من أجل اجتماع عمل أو من أجل مباراة كرة قدم!! ونحو من أمور الدنيا الزائلة. كل شيء في حياتهم له مكان إلا أوامر الدين. ربما يكون هذا الإنسان الغافل قد حباه الله ﷻ عقلا ذكيا فيستفيد منه في دنياه، ولكنه لايستفيد منه في أمور الآخرة.

قال تعالى:{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: 7].

وهؤلاء الغافلون ترى من أحوالهم، ومن شدة جرأتهم على ارتكاب المعاصى. كأنهم لايصدقون بيوم القيامة، فهم كأنهم لايصدقون بالنار، أو أن النار قد خلقت لغيرهم، نسوا الحساب والعقاب، وتناسوا عما أمامهم من أهوال وصعاب وصدق الله إذ يقول:{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: 72].

لقد مات عند الكثيرين من هؤلاء الشعور بالذنب، ومات عندهم

الشعور بالتقصير، حتى ظن الكثيرون منهم أنه على خير عظيم، بل ربما لم يرد على خاطره أنه مقصر في أمور دينه. فبمجرد قيامه بأصول دينه، ومحافظته على الصلوات ظن في نفسه خيرا عظيما، وأن الجنة تنتظره في نهاية المطاف. ونسى هذا المسكين مافعله من آلاف الذنوب والمعاصى التي يرتكبها صباحا ومساء

قال تعالى:{ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 3].

ويقول الله ﷻ:{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [الأنبياء: 1 - 3].

فالآيات الكريمة تبين بعض مظاهر الغفلة عند الناس ومنها:

- الإعراض.
- عدم الاهتمام عند سماع الذكر.
- هوى القلوب.

وهذه كلها أمور خطيرة على من أصابته بعضها أو كلها. لذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الغفلة، فيقول:♂**اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعيلة**ـــ. فالغفلة شر يأتى للإنسان على غرة منه. كما جاء ذلك في صحيح الجامع.

إخوة الإسلام:

والغفلة داء خطير يحول بين المرء وربه، مما يجعل الشيطان يستحوذ عليه ويوقعه في المهالك. والغفلة لها أسباب، ولها أضرار، ولها علاج [1].

❖ **أولا: أسباب الغفلة**

1 – الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها:

حيث أظهرت الآيات القرأنية الصلة الوثيقة بين استحباب الدنيا على الآخرة وبين الغفلة. قال تعالى في سورة النحل:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ

(1) رسالة ورقية (الغفلة المهلكة).

الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [النحل: 107، 108].

وبين الله عز وجل أن مصير الغافلين هو النار.

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [يونس: 7، 8].

وروى البيهقى وابن حبان وحسنه الألبانى، أن رسول الله ﷺ قال عن الغافل:♂**عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة**═.

2 – **ترك الجمع والجماعات:**

وفى ذلك يقول ربنا:{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: 5].

فالسهو عن الصلاة إتيان بعضها، وترك بعضها، وهذا يؤدى بصاحبه إلى السهو والغفلة عن الله تعالى، وعن حزبه وعن جماعة المسلمين.

وجاء في صحيح الجامع أن رسول الله ﷺ قال:♂**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**═.

وقال ﷺ:♂**والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف لدا رجال فأحرق عليهم بيوتهم**═.

3 – **ترك ذكر الله:**

قال تعالى:{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف: 205].

فأمر سبحانه وتعالى بالذكر في سائر الحالات والأوقات؛ لأن من ترك الذكر كان من الغافلين.

ولقد وصف الله تعالى المنافقين بأنهم{لاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً}. فكيف من يغفل عن الذكر في عامة نومه يقظة ونوما، أكلا وشربا، خروجا ودخولا، سفرا ونزولا، وفى سائر الأحوال؟.!

وهل يليق بمؤمن بالله أن يتشبه بالمنافقين في بعض صفاتهم؟!

4 – رفقاء السوء:

لاشك أن رفيق السوء لاينكر منكرا، ولا يعرف معروفًا، ولا يأمر بخير. ورفيق السوء في طريق بعيدة عن الله وعن رسول الله. فهو لاينصح أحدا ولايدعو إلى خير فمصاحبته خسارة وبوار، والقرب منه غفلة ودمار، والرضا به حسرة وندامة يوم القيامة.

قال تعالى:{**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا**} [الفرقان: 27 - 29].

5 – صرف الحواس إلى الشهوات والملذات:

حيث إن الإنسان المؤمن يجب ألا يستخدم جوارحه فيما يغضب الله ﷻ بل يوظف هذه الحواس كل حاسة في موضعها الذي يرضى الله عز وجل.

قال تعالى:{**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**} [النحل: 108].

6 – ترك زيارة القبور ونسيان المصير:

فقد روى الحاكم عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال:♂**نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن لكم فيها عبرة**═.

وقال ﷺ في رواية أخري:♂**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة**═. إذ إن نسيان الموت، ونسيان الآخرة، لا شك أنه الغفلة بعينها.

❖ **ثانيا: أضرار الغفلة** [1]:

عباد الله:

إن الغفلة لها أضرار تلحق بالإنسان في كل وقت وحين، وفي جميع أحواله، فتعود عليه بالضرر العظيم، ومن أهم هذه الأضرار:

(1) مجلة التوحيد.

1 – عدم إجابة الدعاء:

يقول الله عز وجل:{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل: 62].

وروي في صحيح الجامع أن رسول الله ﷺ قال:♂**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غاف لاه═.**

2 – الغفلة سبب وقوع العقوبة الربانية:

قال تعالى عن بني اسرائيل{فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: 136].

فقد تكون العقوبة غرقاً أو مرضاً أو جوعاً أو غلاءً أو وباءً، أو الفناء بالوباء، أو تسلط الأعداء{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: 31].

وقد تكون العقوبة تفريق شمل الغافل، وجعل فقره بين عينيه.

روي أحمد وابن ماجة أن رسول الله صلي الله ﷺ قال:♂**من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه═.**

3 – الغافل مصروف عن آيات الله:

قال تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} [الأعراف: 146].

قال ابن كثير رحمه الله: أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على شريعتي وأحكامي في قلوب المتجبرين عن طاعتي، وتكبون في الناس بغير حق.

فالغافل - إذا - لن يكون الله سمعه الذي يسمع به، ولا بصره الذي يبصر به، ولا يده التي يبطش بها... أي لن يؤيد الله جوارحه وأعماله، فلا توفيق ولا سداد ولا هدي ولا رشاد.

❖ **ثالثاً: علاج الغفلة:**

إخوة الإيمان والإسلام:

مما سبق نستخلص أن علاج الغفلة يكون بالقضاء علي أسبابها:

1 - فإذا كنا نركن إلى الدنيا ونطمئن إليها، فلنبادر فنجعل الآخرة أكبر همنا وغاية عملنا، وهذا يكون بعقد المقارنة بين الدنيا والآخرة؛ فيترجح عند المؤمن العمل للآخرة.

قال تعالى{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64].

2 - المحافظة علي الصلوات والجمع والجماعات وقيام الليل:

قال رسول الله ﷺ: ♂من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين— [1].

والمقصود بالمقنطرين: الذين يجمعون القناطير من الحسنات.

3 – الإكثار من ذكر الله تعالى:

فينبغي أن يكون حال العبد دائماً وأبداً ولسانه رطباً بذكر الله تعالى.

قال تعالى:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152].

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري من حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه: ♂مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت—.

4 – ترك رفقة السوء:

ويكون ذلك بالتحول إلى رفقة صالحة تذكر بالله، وتعين علي الطاعة، لتزول الغفلة، قال تعالى:{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: 67].

5 – زيارة المرضي وأصحاب البلايا:

حيث إن هذه الزيارات تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة، وتعلم العبد أن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصي، وعليه أن يؤدي شكرها ولا يغفل عن الله و الدار الآخرة

6 – استخدام الحواس والجوارح فيما يرضي الله:

(1) صحيح الجامع.

قال تعالى:{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: 36].

وفي ذلك سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

7 – التحول عن المكان الذي يصيبنا بالغفلة:

قال رسول الله ﷺ كما روي في صحيح الجامع :♂**تحولوا عن مكانكم الذي أصبتم فيه الغفلة**═. قال لهم ذلك حينما ناموا عن صلاة الفجر أثناء رجوعهم من خيبر.

عباد الله:

إلى متى هذه الغفلة؟ إلى متى هذا الإعراض؟

قال تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد: 16].

أخي المسلم... ألا تريد أن تدخل الجنة؟!

قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله} [النساء: 69، 70].

أخي المسلم.. عبد الله

انقذ نفسك من النار، قبل الندم وقبل العذاب الأليم، قبل أن تقول:{كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: 22].

وصدق الله إذ يقول:{رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا} [المؤمنون: 99، 100].

نسأل الله الثبات حتى الممات.

اللهم آميـن.

* * *

الكبر وخيم العاقبة

الحمد لله رب العالمين، أعد الجنة للمتواضعين، وجعل النار للمتكبرين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم:{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجاثية: 37].

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، إمام المتواضعين، وقائد الغر المحجلين القائل ﷺ: **إن الله أوحي إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفجر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**[1]. وسلم يارب تسليماً كثيراً...

ثم أما بعد:

إخوة الإسلام:

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ♂**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**♂. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال:♂**إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**♂.

إن النبي ﷺ عرف في صحابته الخضوع والخشوع والانكسار والتواضع، ولكنه خشي أن يصطحب الصحابة معهم ما كانوا عليه أولاً في الجاهلية من الفخر والزهو والكبرياء علي الضعفاء، فقد كانوا قبل بعثته ﷺ يتفاخرون بالأنساب، ويتعاظمون بالألقاب، ويتفاضلون بالقبائل. وترى كل قبيلة أنها أفضل من أختها، ويصيح شاعرها قائلاً:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ::: ويشرب غيرنا كدراً وطيناً
إذا بلغ الفطام لنا رضيع ::: تخر له الجبابر ساجدينا

وانقسم الناس أحزاباً، وتفرقوا شيعاً، وتباعدوا وجهلوا وضلوا سواء السبيل.

فجاء الرسول ﷺ موحداً للكلمة، موثقاً للرابطة، مؤكداً لحسن الصلة، مساوياً لكل البشر في أصل الخلقة، غير مفرق بين سيد ومسود، وكان

(1) رواه مسلم.

من سياسته أن لجأ إلى الأسلوب العلمي، والتطبيق العملي الواقعي في حياة الناس بعد أن عرفهم جميعاً أن الكرامة في الإسلام للعمل والتقوي[1]. لهذا ذكرهم بقوله ﷺ: **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**، حتى يستمروا على ما هم فيه من التواضع.

ولهذا طبق الرسول ﷺ هذا الأسلوب القولي عملياً بين أصحابه حينما أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا لرسول الله ﷺ: نزوج بناتنا موالينا!! فأنزل الله تعالى قوله:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} [الحجرات: 13].

فأنكرت عليهم الآية هذا التفريق لمجرد النسب دون سبب معقول للتمييز والتفريق حتى يعلم الجميع أن جميع الناس لآدم، وآدم من تراب، ولا فرق لأحد علي أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

يقول عبد الله بن عباس ☻ في سبب نزول هذه الآية:

" وقف النبي ﷺ علي راحلته يوم فتح مكة يخطب الناس، واعتلى بلال ظهر الكعبة يمد عنقه ويرفع عقيرته بالأذان وبين سقوط الأصنام صرعي من خلال التكبير وتكاسرها وتخاذلها أمام هيبة التوحيد وقف أربعة من المشركين علي بُعد حول هذا المشهد الرهيب يتساجلون ويتغامزون ويتحدثون.

فقال أحدهم وهو (عتاب بن أسيد بن أبي العيص): الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. وقال الثاني وهو سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره. وقال الثالث وهو أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً؛ أخاف أن يخبر به رب السماء. وقال الرابع وهو الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً. وبهذه المقولة تنزل الآية الكريمة.

ومر على رسول الله ﷺ الأربعة المتساجلون. فسألهم عما قالوا فأقروا. وكان الوحي قد أخبر بقولهم، فجلجلت الآية الكريمة في ديارهم

(1) الكبر من القرآن والسنة.

وأسماعهم، فوقفوا لجلالها يسمعون، وعن معناها يتحدثون ويتساءلون.

لقد عنفتهم هذه الآية وزجرتهم عن التغامز بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والإزدراء بالفقراء؛ فإن المدار على التقوى. أي: الجميع من آدم وحواء إنما الفضل للتقوى [1].

عباد الله

ونريد أن نقف مع قول النبي ﷺ: **لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...** نستخلص منه العبر والعظات، علنا نطبق هذا الإسلام قولاً وعملاً، نظرية وسلوكاً علماً وتطبيقاً.

قوله ﷺ: **لا يدخل الجنة**.

يقول الإمام النووي في " شرح مسلم ": هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع عن الناس، واحتقارهم ودفع الحق.

ويقول القاضي عياض: إن هذا جزاؤه لو جازاه. وقد يتكرم بأنه لا يجازيه. بل لابد من دخول الموحدين الجنة بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها قال ﷺ لمعاذ: **من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة**. قال: أبشر الناس؟ قال: **لا، إني أخاف أن يتكلوا**. أما أهل النار فإنهم مخلدون ولا فرق بين الكتابي واليهودي والنصراني. أما المؤمن إذا كان صاحب كبيرة أخذ حظه من العقاب، ثم دخل الجنة مخلداً فيها إن شاء الله عفى عنه ولم يعذب ودخل الجنة، وفي هذا حجة لأهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار.

وجاء نفي دخول المتكبر الجنة: أي أنه لا يدخلها مع المتقين الداخلين أول وهلة.

وعن معني كلمة (الذرة) في الحديث الشريف

قال ابن عباس [2] ☻ عن معني كلمة " الذرة " في قوله تعالى: **{فَمَن**

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكبر بين القرآن والسنة.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}: أي إذا وضعت يدك علي الأرض، ثم رفعتها، فكل واحدة مما لذق من التراب ذرة.

ويقول الإمام القرطبي: إن القرآن والسنة يدلان على أن للذرة وزناً، كما أن للدينار ونصفه وزناً.

ويقول ابن حجر (رحمه الله): إن أربع ذرات وزن خردلة، وليس المقصود الوزن علي الحقيقة، وإنما المبالغة.

وقول النبي ﷺ: ﴿من كبر﴾ فالكبر هو صفة كامنة في القلب، مستترة فيه، وعن حكم لبس الثياب الحسنة التي ليست من الكبر إذا لم تكن علي وجه الفخر والخيلاء والمباهاة، بل على سبيل إظهار نعمة الله، وهذا مما لا يتسع المجال لبسطه.

والسائل في الحديث قيل أنه معاذ بن جبل أو عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقول النبي ﷺ: ﴿**إن الله جميل يحب الجمال**﴾.

فقد تحدثنا في هذا المعنى في موضوع سابق وهو " دلالات جمال الألوان في المخلوقات " والخلاصة أن: كل كمال يليق بذاته سبحانه، لا مانع أن تسمي به ذاته، وكمالاته تعالى لا تتناهى، وهذا أيضاً مما لا يتسع المقام لبسطه الآن [1].

وقوله ﷺ: ﴿**الكبر بطر الحق وغمط الناس**﴾.

البطر هو: التكبر على الحق، فلا يقبله وهو عدم الاعتراف والتوجه إلى الله عز وجل بشكر النعمة التي أسديت إليه (قاله مسلم والزجاج).

والغمط هو: الغمض، إذاً معناهما واحد، وهو الاحتقار والسخرية والتهكم والاستهزاء بالآخرين، والنظر إليهم بعين النقص [2].

إخوة الإسلام:

هناك كثير من الناس يخلطون بين الكرامة وبين الكبر بدون تفريق

(1) انظر ص 13 من هذا الكتاب.
(2) المعجم الوسيط.

أو تمييز بينهما، لدرجة أن البعض منهم يظن أن من يعتز بشخصيته، ويحافظ على كرامته إنسان متكبر. وهم مخطئون - لا شك - في ذلك. إذ أن الكبر المذموم هو بطر الحق وغمط الناس، كما وضح ذلك الحديث الشريف، فالبطر هو الطغيان عند النعمة، بمعنى عدم التوجه إلى المنعم بالشكر. والكبر هو الترفع عن الناس سواء كان هذا الشخص المتكبر متمتعاً منحلاً بمظاهر الحياة، أو كانت أكفه في التراب ورأسه في السماء، والكبر أيضاً هو الإحساس - ولو في أعماق النفس - بالزهو والخيلاء والترفع عن الناس.

أما التكبر على الخلق فيعتبر من أشد العصيان: أما الاستخفاف بالشرع كأن يحتقر نبياً أو عالماً، عن اعتقاد حقارة العلم فذلك كفر [1].

أما التواضع المطلوب فهو لين الجانب لمن يساويك أو لمن هو دونك، أما الاستكانة لمن هو فوقك فكثيراً ما تكون ضعفاً وجبناً وذلة وصغارًا، والإسلام نهي عن ذلك وإذا كان الإسلام قد حث على التواضع، فالإنسان يجب أن يضع لنفسه حداً ويتخذ لشخصيته موقفاً.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: اعلم أن هذا الخلق - أي: التواضع - كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة. فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى كبراً.

وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمي تخاسساً ومذلة. والوسط يسمي تواضعاً.

والمحمود أن يتواضع في غير مذلة، ومن غير تخاسس. فإن كلا طرفي الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله أوسطها. فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر، ومن يتأخر عنهم فهو متواضع، أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه، فنهاية الكبر ونهاية النقص والتذلل مذمومان، وأحدهما أقبح من الآخر. والمحمود المطلق هو العدل، ووضع الأمور في مواضعها كما يجب وعلى ما يجب، كما يعرف ذلك بالشرع والعادة.

(1) دليل الفالحين بتصرف.

ولعل الغزالي يقصد بقوله: " أن يعطى كل ذي حق حقه "، ما رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ أن عائشة ♥ كانت في سفر، فأمرت الناس من قريش بغذاء، فمر رجل غني ذو هيئة. فقالت: ادعوه، فنزل وأكل ومضى، وجاء سائل فأمرت له بكسرة خبز. فقالت: إن هذا الغني لم يحمل بنا إلا ما صنعناه به، وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يترضاه، وإن رسول الله ﷺ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم. ومعني: ♂**أنزلوا الناس منازلهم**♂ [1] أي: عاملوا كل أحد بما يناسب منصبه في الدين والعلم والشرف.

وقال العزيزي كما جاء في " عون المعبود ": والمراد بالحديث الحث على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم، وتفضيل بعضهم علي بعض في المجالس، وفي القيام وغير ذلك من الحقوق.

وقيل: أن الكبر والعظمة بمعنى واحد، وقيل أن الكبر غير العظمة؛ إذ الكبر يقتضي متكبراً عليه، والعظمة لا تقتضي متعاظماً عليه، فقد يتعاظم الإنسان في نفسه [2].

أما العزة فمأخوذة من القوة والشدة والغلبة، يقال: عز يعز، إذا صار قوياً شديداً، وفي أسمائه تعالى العزيز. أي: الغالب القوي الذي لا يغلب، ومعناها: معرفة الإنسان بحقيقة نفسه وإكرامها، وألا يضعها فالعزة بالنسبة للمسلم: وضع النفس في الموضع اللائق بها، والمحافظة عليها من الضعة، وصيانة الكرامة عن الذل والمهانة، والعزة ثابتة لله تعالى، وهي أمر ذاتي، وثابتة لرسوله بواسطة الرسالة، وللمؤمنين بواسطة الإيمان.

قال تعالى:{ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8].

ومن العزة الكاذبة ما حكاه القرآن عن بعض المنافقين.

قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ} [البقرة: 206].

ومن العزة الترفع عن أهل الكبر، فمن تكبر عليك فتكبر عليه، كما

(1) عون المعبود.
(2) الكبر بين القرآن والسنة.

قيل " الكبر على أهل الكبر صدقة ".

ويقول الرسول ﷺ: **اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بمقادير**.

وصدق الشاعر حين قال:

لا تسقني ماء الحياة بذلة ::: بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم ::: وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال رجل للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً. قال: ليس تيه، ولكنه عزة وتلا قوله تعالى:{**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**}

وقال عمر رضي الله عنه: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله. قالها لما عوتب في بذاءة ثوبه عند دخوله الشام.

نسأل الله جل وعلا، أن يهدينا إلى مكارم الأخلاق، وأن يجنبنا الظهور الخيلاء.

اللهم آمين.

* * *

الكبر بين القرآن والسنة

الحمد لله الذي أنزل علي رسوله الأمين في كتابه الحق المبين، تبصرة وذكري للمؤمنين{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63].

وأشهد ألا إله إلا الله المنفرد وحده برداء الكبرياء، ما في الأرض والسماء وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتواضعين ورأس المتقين وقائد الغر المحجلين، خاطبه ربه فقال{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً} [الإسراء: 37].

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نظروا إلى الدنيا نظرة الزاهد في متاعها، لأنهم علموا علم اليقين أن كل مغرور بها إلى الذل مصيره، وكل متكبر بها إلى التحسر مصيره، علموا أن الدنيا لا تزال تتزين لطلابها، حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها فأذاقتهم قواتل سمومها ورشقتهم بوابل سهامها، فبعد أن عرف الصحابة الكرام كل هذا اتجهوا إلى الله بقلوبهم متواضعين لجميع إخوانهم.

وبعد إخوة الإيمان والإسلام: إن الحديث عن الكبر متعدد الجوانب طويل الموضوع، وسيدور حديثي عن هذا الموضوع إن شاء الله تعالى في النقاط التالية:

أولاً: معني الكبر والتكبر.

ثانياً: موقف القرآن والسنة من الكبر.

ثالثاً: عاقبة المستكبرين.

رابعاً: العلامات التي يعرف بها المتكبر.

☒ **أولاً: معنى الكبر والتكبر:**

الكبر: صفة في القلب مستترة فيه، أما التكبر فهو ظهور هذا الشيء عن طريق الجوارح تطبيقاً عملياً ولقد ورد ذكر الكبر في القرآن الكريم على اختلاف مشتقات الكلمة في أكثر من إحدى وسبعين مرة في آيات

القرآن الكريم، وغالباً ما تصدر بالسين والتاء، أو للطلب لأن الكبر دعوة لأنفسهم ولكونه صفة من صفات الله عز و جل قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [لقمان: 6، 7] والمعني كما قال الإمام النسفي (رحمه الله) قد نَزلتْ هاتَان الآيتان في النضر بن الحارث الذي كان يشتري أخبار الأكاسرة من فارس ويقول: إن محمداً يقص طرفاً من قصة عاد وثمود فإن أحدثكم بحديث الأكاسرة، فيميلون إلى حديثه ويتركون استماع القرآن الكريم وغرضه بذلك صد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن، وإذا تتلى عليه آيات القرآن الكريم أعرض عن تدبرها متكبراً رافعاً نفسه عن الإصغاء إلى القرآن كأن لم يسمعها وقال تعالى:{إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} [غافر: 27] والمراد بالتكبر في الآية كما يقول الإمام النسفي: هو الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار، وأدل على دناءة صاحبه، وعلى فرط ظلمه وإنما قال موسي: لا يؤمن بيوم الحساب، لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها.

ويقول المولى عز وجل في سورة نوح:{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح: 5 - 7] والمعنى كما يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - أنهم استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع واستنكفوا من اتباع الحق والانقياد له ونتيجة استكبارهم معروفة هي كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ويقول تعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ} [ص: 71 - 74].

إبليس من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله تعالى وكان حسوداً مستكبراً وكان اسم ابليس بالسريانية " عزرائيل " وبالعربية " الحارس "

وكان من خزان الجنة

وكان إبليس لعنه الله أكثر خلق الله اجتهادًا وأكثرهم علماً، عبد الله ثمانية ألف عام يقول عز وجل في حديثه القدسي: ♂**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**ـــ أخرجه أبو داود.

قال الخطابي [1] معني هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى ولا ينبغي لمخلوق الإتصاف بهما، لأنه من صفة العبد التواضع والتذلل، فالكبرياء صفة ذاتية، وهي أرفع من العظمة لكونها إضافية فتشبه بارداء الذي هو أرفع من الإزار ولو قارنا بين الطين والنار لوجدنا أن الطين جوهره الرزانة والسكون والوقار، أما النار فجوهرها الخفة والطيش والوحدة.

الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر بينما لم ينطق الخبر بأن في الجنة ناراً.

النار سبب العذاب بينما التراب ليس سبباً في العذاب.

الطين مستغن عن النار بينما النار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب.

إخوة الإسلام:

أما عن موقف السنة النبوية من الكبر

فالقرآن الكريم لم يكن وحده هو الذي وقف موقف العداء بالنسبة لصفة الكبر ولم يكن هو الذي شهر سيفه القاطع أمام المتكبرين وأبان لهم عاقبة كبرهم وطغيانهم وسوء نهايتهم، ولكن السنة النبوية أيضا وقفت بالمرصاد أمام هذه الصفة، وكشفت عن الأضرار الوخيمة التي تترتب عليها حتى يحذر الإنسان منها:

عن ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: **{وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [الزمر: 67] ورسول الله يقول هكذا

(1) عون المعبود.

بيده ويحركها ويقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه: أنا الجبار أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز أنا الكريم، أنا فرجف رسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به.

وأخرج الإمام مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ♂**يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمن ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرض بشماله ، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**— والمعنى: أنا الملك أى لا ملك إلا لى والجبارون هم الظلمة القهارون.

قال المازرى: وإطلاق اليدين لله متأول على القدرة، وكنى عن ذلك باليدين، لأن أفعالنا تقع باليدين، فخوطبنا بما نفهمه، ليكون أوضح وأشمل ونتناول باليمين ما نكرمه، ونتناول بالشمال ما نكرهه والسماوات أفضل من الأرض، ولذلك عبر عنها باليمين، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيء أخف عليه من شيء، ولا أثقل من شئ ولكن ماقاله المازرى يخالف منهج أهل السنة والجماعة، حيث قال العلماء: إن الله عز وجل له يدان وكلتا يديه يمين ولكن يده ليست كأيدينا وذلك مصداقا لقوله ﷻ: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**} [الزمر: 67].

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال: ♂**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**—.

والذر: هو النمل الأحمر الصغير، واحدتها ذرة والخبال: في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول وقد فسر الحديث بأنه عصارة أهل النار وفى مسند الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال: ♂**من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلين**—.

إخوة الإيمان والإسلام:

ولكن ما العلامات التي يعرف بها التكبر؟

هناك علامات يعرف بها التكبر ومنها:

- أنه يحب وهو سائر في الطريق وهو داخل على بعض المصالح لقضاء مصلحة مثلا أن يقوم الناس له وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: ♂**من سره أن يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار**♂[1] وعن أبى أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئا، على عصاه فقمنا له فقال: ♂**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضا، وقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**♂ [2].
- ألا يمشى الشخص المتكبر إلا ومعه غيره، يمشى خلفه مغترا بنفسه ولذلك كان رسول الله ﷺ يمشى خلف الصحابة ليعلمهم التواضع.
- ألا يزور غيره حتى لو كانت الزيارة تؤدى إلى جلب المنفعة.
- استنكاف الشخص جلوس غيره بالقرب منه، إلا أنه يجلس بين يديه بخلاف التواضع.
- فهذا رسول الله ﷺ كما يقول أنس: ♂**إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها**♂ [3].
- أن يتجنب مجالسة المرضى والمعلولين، ويبعد عنهم لأنه لايأمن على نفسه من نوائب الدهر وهذه خلاف أخلاق رسول الله ﷺ وصحابته حيث روى عن ابن عمر ☻ أنه كان يأكل مع المجذوم في إناء واحد.
- اللباس الذي يلبسه الإنسان يظهر به أثر التكبر، ويظهر به أثر

(1) رواه الترمذي.
(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى.
(3) رواه ابن ماجة في الزهد.

التواضع، فمنهم من يلبسه قاصدا بذلك إظهار النعمة التي أنعمه الله عليه، فهذا ليس من الكبر والصحابة (رضوان الله عليهم) خير من يقتدى بهم في هذا فقد رفضوا الدنيا رغم ماكانوا عليه من ثراء.

عباد الله:

ولكن ما هى عاقبة المستكبرين؟

بعد أن ذم القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آياته ذكر أيضا عاقبة المستكبرين في أكثر من آية منها:

قال تعالى:{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [فصلت: 15، 16] والمعنى كما قال البيضاوى: أنهم استكبروا وتعظموا واغتروا حتى أن الرجل منهم كان ينزع الصخرة فيقلعها بيده، ونسوا أن الله هو أشد منهم قوة فأرسل عليهم ريحا باردة تهلك بشدة في سبع ليال وثمانية أيام واستمر النحس حتى أبادهم عن آخرهم واستمر في آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف: 40].

ومعنى لا تفتح لهم أبواب السماء أى لاتصعد أعمالهم، أو لاتصعد أرواحهم أو لا يصعد دعاؤهم.

وقال تعالى:{الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} [غافر: 70 - 72].

وفى هذه الآيات دليل ساطع وبرهان ناصع وإنذار وتحذير لمن تسول له نفسه أن يتخلق بهذه الصفة الذميمة صفة الكبر، جعلنا الله من المتواضعين وأود أن أشير إلى نقطة هامة قبل أن

أختم هذا اللقاء ألا وهو رأى القاضي عياض في مسألة إطلاق اليدين لله تعالى في الحديث السابق الذكر حيث قال الله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيما ورد في هذه الأحاديث من مشكل، ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته، ولانشبه شيئا به ولا نشبهه بشيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وما قاله رسول الله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق، فما أدركنا علمه، فبفضل الله تعالى وما خفى علينا آمن به ووكلنا علمه إليه سبحانه وتعالى، وحملن لفظه على ما احتمل في لسان العرب الذي خوطبنا به، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه سبحانه عن ظاهره الذي لا يليق به ﷻ هذا ماقصدت توضيحه [1].

نسأل أن يهدينا إلى الصواب.

اللهم آمين.

* * *

(1) شرح النووي على صحيح مسلم.

أسباب التكبر

الحمد لله رب العالمين، أعد الجنة للمتواضعين، وجعل النار للمتكبرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ونشهد أن محمدا رسول الله وبعد.

إخوة الإيمان والإسلام، لقد بينا في لقاء سابق السمات الفارقة بين كلمتى الكبر والتكبر فقلنا: إن الكبر هو صفة كامنة في القلب مستترة فيه أما التكبر: فهو ظهور هذا الشيء عن طريق الجوارح تطبيقا عمليا.

وينقسم الكبر باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أقسام [1]:

القسم الأول: التكبر على الله سبحانه وتعالى، وذلك أفحش أنواع الكبر، ولا يوصف صاحبه الذي يريد أن يتصف به إلا بالغباء والضلالة العمياء والظلم والطغيان، فإنه يتكبر على رب السماوات والأرض رب العالمين.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لهذا القسم الخبيث ومن ذلك:

هذا هو النمروذ بن كنعان الذي كان يحدث نفسه بأنه يقاتل رب السماوات والأرض، وعارض الله ﷻ في ربوبيته، والسبب في ذلك هى النعمة التي أسديت إليه فبدلا أن يقابلها بالشكر عارضها بالبطر والكبر والتمرد ولقد أخبرنا القرآن بما حدث منه فقال مخاطبا بذلك رسول الله ﷺ: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [البقرة: 258].

وهذا فرعون الذي تجبر واعتدى، ونسى خالق الأرض والسماوات العلا، وادعى بأنه الرب الأعلى، وبغى وطغى، فذكر الله له سوء عاقبته التي آلت إليه، فقال لموسى:**{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ**

(1) انظر إحياء علوم الدين، الكبر بين القرآن والسنُّة.

يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} [النازعات: 17 - 26].

ولشدة رحمة الله تعالى به أنه لم يأخذه بالعذاب الفورى بل أمهله مدة كى يفيء إلى رشده ويعود لصوابه، فعاند وكابر فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.

قال ابن عباس: فيها نكال قوله:{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: 38] وقوله بعد:{أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} [النازعات: 24] وكان بين الكلمتين أربعون سنة والمعنى أمهله الله في الأولي ثم أخذه في الثانية، فعذبه بكلمتيه [1].

ولو كان فرعون (لعنه الله) كيساً فطناً ولبيباً فاهماً ما قال ذلك لأنه متناقض مع نفسه في أقواله، فمرة يقول:{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: 38] وهنا يقول:{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} [الزخرف: 51].

فلماذا حدد مملكته في مصر وحدها؟ ولماذا لم يقل أليس لي ملك العالم؟ إن المتداعي بشيء لابد له من عثرات يفضح بها نفسه وينفي بها ما كان يدعيه لها ونتيجة تكبره على الله مذكورة في قوله تعالى: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [القصص: 40] إن الظلم الذي ارتكبه فرعون (لعنه الله) هو أفحش أنواع الظلم إذ ادعى أنه الرب الأعلى.

القسم الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس، ومن هؤلاء الذين عرفوا أحقية الرسل للرسالة، ولكن منعهم الكبر عن الاعتراف بالحق والإذعان له. " اليهود " لعنهم الله تعالى، فقد كانوا يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأو أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه النبي ﷺ أقرأ قوله تعالى في سورة البقرة{وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: 89] وما حدث لرسول الله ﷺ من تكذيب وإيذاء من قبل المستكبرين

(1) تفسير القرطبي.

حدث لإخوانه من الأنبياء والمرسلين قال تعالى{وَقَالُواْ لَوْلا أُنـزِلَ عَلَيْـهِ مَلَـكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ} [الأنعام: 8].

وقال تعالى{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [إبراهيم: 10 - 11].

والقسم الثالث: من أقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه: التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم المتكبر نفسه، ويستحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وهذا الكبر وإن كان دون التكبر على الله والتكبر على الرسل، إلا أنه له خطره من وجهين:

الوجه الأول: أن الكبر والعظمة والعلاء لا يليق إلا بمالك الملك القادر، أما العبد المملوك الضعيف المخلوق لله الذي لا يقدر على دفع الضر عن نفسه، فمن أين يليق بحاله الكبر مع أن الله تعالى يقول في حديثه القدسي: ♂**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**═.

أما الوجه الثاني: فإنه يرجع إلى أن هذا الكبر يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده.

إخوة الإيمان والإسلام:

ونتحدث - إن شاء الله - عن أسباب التكبر من ناحية الكمال الدنيوي ونقول: لا يستعظم في نفسه ويتكبر بها على الناس - إلا من كان معتقداً بأن لها صفة من صفات الكمال، وهذا الكمال إما أن يكون كمالاً دنيوياً أو دينياً، وإليكم أخوة الإسلام أسباب الكمال الدنيوي وما يتكبر به:

النسب والحسب: فمن كان ذا نسب في قومه، وذا شرف وحسب بالآباء والأجداد فإنه يستحقر ويتكبر على من ليس له ذلك وإن كان أرفع منه علماً وعملاً، كما قال الفرزدق مفتخراً بآبائه على جرير يستهزىء به:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ::: إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وفي صحيح البخاري أن أبا ذر سب رجلاً بأمه فقال له النبي ﷺ : ♂**يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم مما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم**═.

قال ابن حجر رحمه الله: ويظهر أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه.

وروي الإمام أحمد في حديث إسناده صحيح أن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان ابن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ:♂**افتخر رجلان عند موسي عليه السلام ، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة فأوحى الله إلى موسى عليه السلام ، قل للذي افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم**═.

أما عن علاج ذلك:

إذا أراد الشخص أن يتكبر بنسبه، فلينظر إلى نفسه بعين الإنصاف والاعتدال ويتساءل هل تكبره هذا في محله؟ وهل يحق له أن يتمسح في غيره؟ إن العاقل لو أراد الافتخار لكان الأولى أن يفتخر بنفسه من خلال أفعاله التي قدمها في حياته وليترك المجتمع هو الذي يحكم عليه فإن حب الثناء طبيعة كل إنسان وعلى حد قول القائل:

ليس الفتي من يقول كان أبي ::: ولكن الفتي من يقول هأنذا

ويجب على كل إنسان أن يعرف نسبه الحقيقي، حتى يقف عند حده ولا يحيد عن الطريق الذي خلق من أجله فأبو كل واحد نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل، وقد عرف الله سبحانه وتعالى أصل الإنسان فقال:{**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ**} [السجدة: 7، 8] فالإنسان في الآية هو آدم عليه السلام ونسله وذريته والسلالة، النطفة، وماء مهين: أي مني ضعيف حقير، فأصله الترب المهين الذي يداس بالأقدام.

التكبر بالمال: ويتمثل هذا في أصحاب العقارات والأراضي والمصانع والتجار الذين يتاجرون في بضائعهم، والملوك بما يملكون من خزائن

فهؤلاء نجد من بينهم من يتكبر بذلك، وقد يتلفظ كثيرون منهم بالألفاظ الصريحة التي تؤلم النفس وتحزن القلب فيقول له مثلاً: يا مسكين أويا فقير، أو... فلو عرف الغني الذي يتكبر بماله قيمة الفقير ومنزلته عند الله، لتملقه ولاطفه، وتمنى أن يجالسه، فما الدنيا إلا طيف خيال وكل ما عليها صائر إلى الزوال وعلاج ذلك:

لو كان الغني وكثرة المال عن استحقاق، ما أغنى الله عز وجل ومَنْ في غاية الذل والطرد من رحمة الله تعالى لأن ماله هذا سينقلب عليه وبالاً ونكالاً وهل يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج لا يستويان واعلم أن صاحب المال إذا ذهب ما له أصبح غير منوط بالإحترام بين الناس إذ أن الناس كانت تحترمه لما له غالباً والأمثال في ذلك كثيرة كقصة صاحب الجنة التي وردت في سورة الكهف حيث أخبر ربنا في كتابه فقال:{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف: 34].

حيث أجابه فقال:{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} [الكهف: 39 - 41].

ومثال آخر: الوليد بن المغيرة، حيث نزل فيه قول الله تعالى:{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [القلم: 10 - 15] ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:♂**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً**ـــ ومن حديث سعد بن عامر الذي رواه الطبراني أن رسول الله قال:♂**إن فقراء المسلمين يزفون كما تزف الحمام فيقال لهم قفوا للحساب، فيقولون: والله ما تركنا شيئاً نحاسب عليه فيقول الله عز وجل: صدق عبادي، فيدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عاماً**ـــ.

التكبر بالقوة وشدة البطش بالضعفاء:

قد يتكبر القوي بشدة سواعده وعضلاته مستغلاً بذلك ضعف الناس، ويدخل في هذا أيضاً علو اليد، ونفوذ الأمر، وقلة مخالطة الأكفاء.

علاج ذلك:

أن يعلم أن ذلك منحة من الله وعطية أعطاها له، لكي ينتفع بها ويعمر لا ليخرب فقد يسلط الله عليه العلل والأمراض فيسلب قوته، فلو سلب الذباب شيئاً ما استطاع أن يرده، ولو دخلت في أذنه نملة قتلته، ولو دخلت في رجله شوكة أعجزته، ولو تخللته حمي في يوم من الأيام أصبح هزيلاً لا تعاد إليه قوته، وليتذكر ما حدث لقوم عاد{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت: 15] ويروى أن عمر ﷺ نادي يوماً: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه، وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس لقد رأيتني، وأنا أرعي علي خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبض من التمر والزبيب فأظل اليوم وأي يوم فقال عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين والله ما زدت إلا أن قصرت علي نفسك، فقال عمر ويحك يابن عوف، إني خلوت فحدثت نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك، فأردت أن أعرفها نفسها ".

التكبر والتفاخر بالجمال:

يقول رسول الله ﷺ :♂**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**ـــ [1].

إن التكبر والتفاخر بالجمال كثيراً ما يكون من النساء وبين النساء ولذا نلحظ أن آية الحجرات التي يقول فيها ربنا{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ} [الحجرات: 13] لم تكتف الآية بهذا فحسب ولكنها ذكرت جنس النساء خاصة مع أنهن يدخلن في عموم النداء

(1) مسلم.

ولكن نظراً لأن هذا الأمر كثيراً ما يحدث منهن ولذا نتذكر ما دار بين عائشة

♥ والنبي ﷺ حينما أشارت بيدها تريد أم المؤمنين صفية قصيرة فقال النبي لعائشة: لقد قلت كلمة لو مزجت ببحر لمزجته، والمسلم الذي يستهزأ بأخيه كالمستهزئ بنفسه حيث يقول ربنا{وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} [الحجرات: 4].

وعلاج ذلك:

من أراد أن يتكبر بجماله وحسنه فلينظر أولا إلى حقيقة أمره فسيجد نفسه خلق من الأقذار الشنيعة والصور التي مر بها من نطفة فعلقة فمضغة ثم خروجه من الأماكن القذرة ومايحمله من عذرة.

يقول أنس ☺: كان أبو بكر يخطبنا فيقدر إلينا أنفسنا ويقول: خرج أحدكم من مجرى البول مرتين.

وقبل كل ذلك نذكر بقول الله سبحانه:{فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق: 5 - 7].

وقال تعالى:{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان: 1 - 5].

ولقد علمنا نبينا الكريم ألا نتكبر على أحد، بل إن الإسلام جعل التقوى هى مناط التكريم والتفضيل.

فهذا جليبيب رضي الله عنه كان ذميم الخلقة، ولكنه قوى لإيمان لذا حبه رسول الله وزوجه ولما استشهد في القتال قال رسول الله:♂**جليبيب منى وأنا منه**▬.

نسأل الله جلا وعلا أن يجعلنا من المتواضعين.

اللهم آمين يارب العالمين.

* * *

كيفية معالجة الكبر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الكبر صفة رذيلة، تؤدى بصاحبها إلى الجحيم، وتجعله يصلى عذاب السعير وهذه الصفة من المهلكات وقلما ينجو منها أحد ولاتزول بمجرد التمنى، بل لابد من استعمال الدواء الناجح لها والمتكبر إذا أراد أن يرجع إلى رشده ويفيء من غيه، ويعود إلى صوابه لابد من وجود سببين رئيسين هما السبيل الرئيسى لمعالجته وتقويمه، أحدهما كما أسلفنا في اللقاء الماضى (دفع العارض منه والأمر الطارئ عليه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره).

ثانيهما: استئصال أصل الكبر وقطع جذوره من القلب.

ولابد أن نعلم عباد الله - أن استئصال أصل الكبر من القلب وقطع جذوره لا يتحقق إلا بوجود علاجين هامين، لايستغنى أحدهما عن الآخر، أحدهما علمى والثانى عملى، ولايتم الشفاء إلا بمجموعهما.

أولا العلاج العلمى: وهو يعرف نفسه ويعرف ربه، فإذا تحققت هذه المعرفة كفاه بذلك إزالة الكبر عنه؛ لأنه إذا عرف نفسه معرفة جيدة، وأمعن النظر فيها لوجد نفسه أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، فلا لجوء له إذًا إلا للتواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه تمام المعرفة، علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا له فهو وحده صانع هذا العالم فلا تكبر ولا تجبر إلا له:

يقول تعالى:{قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [المؤمنون: 88، 89].

وإذا أراد الإنسان أن يعرف حتى لايصول ويجول ويسعى في الأرض فسادا فليقرأ قول الله تعالى:{قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ

{خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ} [عبس: 17 - 22].

ومعنى قتل الإنسان ما أكفره أى: لعن الإنسان ما أشد كفره بالله وما أشد كفره بنعمه مع كثرة نعمه وإحسانه إليه. من أى شيء خلق هذا الكافر حتى يتكبر؟! لقد خلق الإنسان من نطفة من ماء يسير مهين والآية قد نزلت في شأن - عتبة بن أبى لهب - فقد غاضب أباه فأسلم، ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه إلى الشام فبعث إلى رسول الله ﷺ أنه كافر برب النجم إذا هوى فأنزل الله قوله: (قتل الإنسان) أى لعن حيث كفر بالقرآن ودعى عليه رسول الله ﷺ فقال: (اللهم ابعث عليه كلب حتى يفترسه، فلما كان في أثناء الطريق ذكر الدعاء فجعل لمن معه ألف دينار، وإن أصبح حيا، فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله. فأقبل أسد إلى الرجال ووثب فإذا هو فوقه فمزقه فكان أبوه يندبه ويبكى عليه ويقول ما قال محمد ﷺ شيئا قط إلا كان [1].

*** يقول الإمام الغزالى في (الإحياء):**

أشارت هذه الآيات إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره إلى وسطه فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية.

أما أول الإنسان أنه:{لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شيء أقل وأخس من المحو والعدمة إذ خلقه الله من أقذر الأشياء.

قال تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} [المؤمنون: 12، 13].

* يقول الإمام الغزالى: فما صار الإنسان شيئا مذكورا، إلا وهو على أحسن الأوصاف إذ لم يخلقه الله في ابتدائه كاملا، بل خلقه جمادا لايسمع ولايبصر ولايحس، فبد أ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصمه قبل سمعه فهذا معنى قوله تعالى:{مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} [عبس: 18، 19].

(1) روح المعاني.

ومعنى قوله:{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان: 1] أى: كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال:{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} وهذا إشارة إلى ماتيسر له في حياته إلى الموت فانظر كيف بعد الضلال، فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره.

قال تعالى في سورة الروم:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ} [الروم: 20].

فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم.

لقد امتن الله ﷻ على الإنسان فقال في سورة البلد:{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: 8 - 10] أى ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يفصح به عما في ضميره وشفتى يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب، وللأسف الشديد بدلا من أن يقابل ذلك بالشكر والعرفان لمقابلة جزء من هذه النعم العظام كان الجحود والخسران فقال:{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى} ثم ذكر منته عليه فقال:{فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [القيامة: 37 - 39].

عجبت من معجب بصورته ::: وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته ::: يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهة ونخوته ::: ما بين ثوبيه يحمل العذرة

يقول الإمام الغزالى:لو أكمل الإنسان وفوض إليه أمره، وأدام له الوجود باختياره.

لجاز أن يطغى ونسى المبدأ والمنتهى لكنه سلط عليه الآفات والأمراض ولا يملك لنفسه نفعا أو ضرا وهذا هو وسط خلق الإنسان أما آخر مورده فهو المشار إليه لقوله تعالى:{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ} [عبس: 21، 22].

قال الحافظ ابن كثير: والمعنى أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسن إدراكه، فيعود جمادا، كما كان أول أمره، لا يبقى

إلا شكل أعضائه وصورته ليس فيه حس ولا حركه ثم يوضع في التراب فيصير جيفة نتنة قذرة، كما كان أولا نطفة مذرة، ثم تبلى أعضاؤه ثم يصير ترابا وصار كأن لم يغن بالأمس - حصيدا فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامه، فينظر إلى قيامة قائمة وسماء ممشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مصيرة، وشمس منكسفة، ونجوم منكدرة وأحوال صحائف منشورة فيقال له:{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً} [الإسراء: 14]، أى أنك تعلم أنك لم تظلم، ولم يكتب عليك إلا ما قد عملت، لأنك ذكرت ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من قارئ وأمى.

وذكر عن الإمام أحمد (أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين، فلم يئن أحمد حتى مات - رحمه الله - وإذا أعطى العبد الكتاب وقال له ربه " اقرأ " انقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب، قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من المخازى فإذا شاهدها قال:{يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49].

يقول الإمام الغزالى: إذا عرف الإنسان حقيقة أمره هذا فماله مغترا بنفسه يفرخ بطرا أو شرا ويمشى على الأرض تكبرا وتعاظما وكيف لو عرف نهاية نفسه ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا{يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا} [النبأ: 40].

❖ **ثانيا: العلاج العلمى للشخص المتكبر:**

فمن التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين من السماحة والمروءة والشهامة، وخير دليل على هذا هو رسولنا ﷺ فقد كان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد.

إن التواضع المطلوب الذي أراده الإسلام، ويثاب عليه الإنسان لايتم إلا بعد المعرفة إلا بالعمل فالعلم والعمل صنوان يخرجان من مشكاة واحدة فالإيمان وحده غير كاف للشخص إلا إذا انضم معه العمل وإلا فهو

مؤمن عاص غير كامل الإيمان، وهكذا من علم عن التواضع فلايتم التواضع المطلوب منه إلا بالممارسة العملية، وإلا كان على النقيض فيهوى بذلك إلى الحضيض فالقلوب لاتتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لسر الارتباط بين القلب وسائر الجوارح.

إخوة الإيمان والإسلام: أما عن أسباب الكمال الدينى التي تؤدى إلى الكبر فأول هذه الأسباب التكبر بالعلم، وهذا لا يختص به إلا بالعلماء، فما أسرعه إليهم فلا يلبث العالم أن يتعزز بعلمه ويسخر الناس لحوائجه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا وأمثاله من العلماء المتكبرين أن يسمى حاملا أولى من أن يسمى عالما، ولهذا قال أبو الدرداء: من يزدد علما أو يزدد وجعا، وقال أيضا: ما أخاف على نفسى أن يقال لى: ماذا علمت، ولكنى أخاف أن يقال لى: ماذا عملت ومن هنا جاء قول النبى ﷺ: في الحديث الذي رواه أبو بريدة الأسلمى: ♂**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع. ذكر منها علمه فيما عمل به**— [1].

وقد أخبر الله جل وعلا في كتابه:{**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**} [فاطر: 28]. ليس المقصود النحو والصرف وغيرها الذي ربما إذا علم الإنسان به جيدا أدى إلى الكبر، ولكن العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا لأنها هى التي تثمر الخشية وقد كان من دعاء النبى ﷺ: ♂**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع**— [2].

وعلاج ذلك:

1) أن يعلم حجة الله على أهل العلم أكبر، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عُشْرهُ من العالم، وقد أخبر النبى ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام البخارى عن أسامة بن زيد: ♂**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجمع إليه أهل النار فيقول يافلان، مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ يقول بلى كنت**

(1) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.
(2) رواه أحمد في مسنده.

آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه» والأقتاب جمع قتب وهى الأمعاء واندلاقها خروجها بسرعة.

2) أن يعلم أن الكبر إنما هو صفة ممقونة لله جل وعلا، وأنه لا يليق إلا به، فلا يصح أن ينازعه فيه غيره، ولايشاركه فيه أحد فإذا تكبر العالم بعلمه صار ممقونا عند الله.

إخوة الإسلام:

وتأتى أسباب الكمال الدينى التي تؤدى إلى الكبر أن يطلب بالعلم الرئاسة على الخلق، وهذا أمر مذموم حذر منه رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: ♂**لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار»** (1).

ويقول ﷺ في حديث آخر: ♂**ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم وابتغوا بقولكم ماعند الله فإنه يدوم ويبقى وينفذ ما سواه»** (2).

❖ وثالث أسباب الكمال الدينى التي تؤدى إلى الكبر:

التكبر بالعمل والعبادة ويتمثل هذا في طوائف من الزهاد والعباد، الذين يظنون أنهم بأيديهم خزائن الجنان وينظرون إلى غيرهم أنهم من أهل النيران فقد أخبر الرسول ﷺ عن هؤلاء فقال: ♂**إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم»** (3) أى أشدهم هلاكا أو جعلهم هالكين وقد قال رسول الله ﷺ أيضا: ♂**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايخذله ولا يحقره»** (4) وقال ربنا في كتابه: **{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}** [الزمر: 9] وقال النبى الكريم: ♂**فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»** ويستفاد من ذلك أن العالم أفضل من العابد ولانملك للإنسان المتكبر إلا أن نقول له: فليفعل الإنسان المتكبر مايفعله كل الناس حتى يتخلى عن كل ما ألم به من كبر وزهو وخيلاء.

(1) رواه ابن ماجه.
(2) رواه الدارمي.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه مسلم.

فاللهم اجعلنا من المتواضعين ولاتجعلنا من المتكبرين.

اللهم آمين.

* * *